

كان الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكماً للشارقة، الشيخ محمد بن صقر القاسمي نائباً للحاكم أما أخوهما الشيخ ماجد بن صقر القاسمي فقد كان يجلس في سوق عرصة الفحم، يستمع لشكاوى الناس ليحلها أو يدفع بها إلى قاضي البلد - ويسمى الشرع - وكان يومها الشيخ سيف بن محمد بن مجلاد، كان يتقاضى لديه الناس في مجلسه العامر. إلى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي لتنفيذ ما جاء بها أو التصديق أما وزير الشيخ فكان السيد إبراهيم بن محمد المدفع، عمله في المراسلات والعلاقات الرسمية مع الآخرين. الناس ترقب هلال العيد عند غروب شمس ذلك اليوم، وفي ذاك الهدوء التام يدوي صوت وت المدفع، وذاك ينتظر دوره لدى المحسن - أي الحلاق، والآخر جاء لشراء ما يحتاجه في تقديم الفواله وهي ما يقدم للضيف من حلوى ومنفوش قبالة دكان المحلوي تيمور، هناك دكان به طاحونة، يدور حولها حمار معصوب فإذا قلت لإنسان : لا تحمل هذا العامل فوق طاقتك، صباح يوم العيد خرجت الناس في زينتها، والذي كان يبعد عن المدينة بمقدار كيلومتر واحد ونصف الكيلومتره منبر أسمنتي بثلاث درجات يقف الخطيب عليه، وخطيب الأعياد والجمع الشيخ سيف ابن محمد بن مجلاد الرجال والفتيان في الصفوف الأمامية، مقدمتهم الشيخ سلطان بن صقر القاسمي وإخوته وذووه وأعيان أما النساء فكن في الصفوف الخلفية، فإذا ما شاهد أحد الحراس من الحصن قدوم الناس بأثوابهم البيضاء، أمر بإطلاق المدفع، من يصلهم صوت المدفع قائلين عيدات الشارقة. يتوافد إلى الحصن المهنتون للشيخ سلطان بن صقر القاسمي بالعيد. ومن بين من يفد كذلك مجموعة الحرس التابعة للشيخ الحراسة الطائرات وهم من أصل عُمان، أسكنوا بالقرب من محطة الطيران في مكان يقال ورئيسهم يسمى ناصر الزبيدي . ويبرز من بينهم اثنان في أيديهم سيوف وتروس، ويقومان بتمثيل مشهد مبارزة، ويقوم بذبحه، واقفاً على رجله. يجرون في السكك، وهي قليل أما في مساء ذلك اليوم، الرجال والفتية والفتيات والأطفال. الكبيرة من شجرة الرولة، وتجلس الفتيات في صفين على الحبال المرجيحة، أي إبعادها إلى أعلى بكل عفة. أما شيخ الشارقة، لتلقي التهاني بالعيد، وإلى جانبهم تقام رقصة «العيالة». أو الحصن، فكان يحمل سيفاً ذهبياً معكواً يقال له «الكتارة» مزرعة الفلج أقام عمى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي مزرعة كبيرة في منطقة الفلج إلى الشرق من برج خزام، كما بنى بالقرب منها استراحة. كانت المزرعة مكونة من بئرين ثبتت عليهما مضختان للمياه للاستحمام، وقد غطي بتعريشة تسلقت عليها أشجار الياسمين، كانت أشجاراً بأشكال الورود في وسط الحوض. أما حول الحوض فقد زرع بالرياحين، وأسراب من الغزلان تجري هنا وهناك . إلى تلك المزرعة، أما أبناء ويغنون في في صباح يوم من أيام الأسبوع الأول من شهر فبراير من سنة والتي كانت تصغرنى سنا، على التلة المطلة على الطريق الواصل بين منطقة النخيل « وبلدة كتنا نبنى بيوتاً من الرمال المبللة بماء المطر، وكنا نزين تلك البيوت بالأزهار البرية التي جمعناها، الهدوء يخيم على المنطقة، باردة، حتى إذا نظرنا إلى الشرق امتد بصرنا إلى السهول المرصعة بأشجار السمر التي كانت تتناهي عند قواعد الجبال الشاهقة السهول من الناحية الغربية. بأشجار النخيل العالية. رأس الخيمة، المعيريض إلى الشرق، الخران الرملية، الطرفاء، حيث ترد الأبقار إلى ماء الشرح» تتجمع فيه مياه الأمطار. إلى الجنوب منا القلعة المبنية بالطوب، بن سالم القاسمي، قف . وإذا بذاك القادم من ناحية رأس الخيمة ومعه أربع نساء يسقطن صاح ذاك القادم باكياً، اه يا صقر . سكون هو تابع للشيخة عائشة بنت صقر القاسمي، وخالد ابني الشيخ سلطان بن سالم القاسمي، النسوة اللاتي ذهبن إلى منزلنا، ابن أخ الشيخ وأن صقراً وخالداً قد فرا من رأس الخيمة، ولا يعلمن عنهما أي شيء. فإذا بها سيارتنا فنزل منها والدي، بسيارته، والتي كان يسوقها السائق عبد الله بندري، زوجة الشيخ سلطان بن سالم القاسمي، ويدعى عيد بن خصيف، المجلس الخارجي، وهو عبارة عن خيمة تبعد قليلاً عن مجموعة الخيام التي تمثل المنزل، واصطحبني والدي معه إلى المنزل . وأن صقراً وخالداً هناك في رأس الخيمة، يقول والدي بأنه ذهب إلى بيت الشيخ حميد بن محمد القاسمي، فوجد أن خالد بن سلطان قد التجأ إليه. بأنه هرب على دراجة نارية من بيته في رأس الخيمة في الصباح الباكر. قلت بأنني شاهدت دراجة نارية مسرعة في الصباح الباكر على الطريق متجهة إلى الشرق . قال والدي : وقد استدلت على مكانه بعد استفسار عن سير الدراجة النارية وهم معي الآن في المجلس». انتشر في منزلنا خبر وجود صقر وخالد في المجلس، من النسوة التابعات للشيخة عائشة والدة صقر وخالد تملأ المنزل عندما ركبنا السيارة، بعد أن تناولنا غداءنا، جلست مع أبي في المقعد الأمامي للسيارة. سلطان بن سالم القاسمي، يلبس ثوباً أبيض، كان والدي وابنا شقيقته واجمين، بعد ذلك المصاب، كأنما هي الأخرى أصيبت وتتمايل يمنة ويسرة وهي تطوي الطريق حتى رأيت والدي وهي في طريقها إلى الشارقة، إلا مرة واحدة الصلاة العصر وصلنا مدينة الشارقة عصر ذاك اليوم، السيارة أمام باب بيتنا، حيث تتواجد والدتهما. البيت مفتوحاً مع أنه خال من السكان.»! وأنا معه أنادي : سالمين . كان ذلك من أثر شلل أصابه في صغره. والدي (مخاطباً سالمين): أسخن ماء ليستحم به سلطان، للمجلس». أمر والدي المرافق العسكري عيد بن خصيف أن يذهب إلى دكان حيث كانت أخواتي وأخي الصغير حميد. بعد

أن اغتسل والدي وبديل ملابسه خرجنا إلى المجلس، حمل معه قطعة من الصابون وفوطة، حتى إذا وصلنا إلى أخذ والدي ينظر من خلال نافذة المجلس التي تطل على الساحة التي أمام بيتنا، لكنه لا يستطيع أن يزيد من خطواته، لقد تقوست رجلاه إلى الخارج. الشخص . فكيف أتركه؟!». وأخذ يقيص خصلات شعري بمقصه، ويضعها على قطعة وأنا أتحسر على ذلك الشعر الذي اعتنيت به أنا أقطع بالمقص والدي يقول له :«ذلك جسده بالصابون. ثم أخذني والدي، معي مع الملابس الأخرى في الصرة، وعصبت رأسي بشالي الأحمر. بعد صلاة المغرب ذهبت مع والدي إلى الحصن حيث كان عمي الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاضراً في مكتبته في الحصن. حسب ما أوصاني والدي، ولم يكن بالمكتبة إلا عمي والدي وأنا معهما. وتقدم ليستقبله، صقر وخالد. فأدخلهم عمي مكتبته، فالشيخ وهما خالا صقرو خالد ابني الشيخ سلطان بن سالم القاسمي. كان الشيخ سلطان بن سالم القاسمي مكسور الجناح، الخيمة إليه. هذه ليست المرة الأولى التي أشاهد فيها الشيخ سلطان بن سالم فقد شاهدته قبل بضعة أسابيع عندما رافقت والدي في يومها كان البدو قد تجمعوا محتجين لدى والدي في الخران، يقطع أشجار الغاف المعمرة في منطقة الجري، وخاصة تلك التي لها حيث بدأت السفن الكويتية السفارة تتحول إلى استعمال الماكينات بدلاً من الأشربة، وقد شاهدت بنفسي بعيرين يحملان جذع شجرة كبيرة موثوقاً رفض الشيخ سلطان بن سالم أن يستمع لنصح والدي جمع والدي إلى الخران، بن سالم. أخبر الشيخ سلطان بن سالم عمي الشيخ سلطان بن صقر بأن رأس الخيمة وقت دخول الشيخ صقر بن محمد القاسمي الحصن حيث كانت في الدور الأرضي، بالخونة. وقد إلى الدور الأرضي والاكفتاء باحتلال الدور العلوي ومدخل الحصن حفاظاً على كرامة عمته. من الحصن، ويحضرها إلى الشارقة، الخيمة. تعهد عمي الشيخ سلطان بن صقر القاسمي بأنه سيذهب بنفسه وتعهده والدي بأن يكتب رسالة للشيخ حميد بن محمد القاسمي يطلب منه بأن يقوم بإخراج عمته الشيخة فاطمة بنت سالم من الحصن برأس الخيمة، إلى رأس الخيمة قام والدي بكتابة الرسالة المطلوبة، وكان اسمه الرامس وقد كلف بتسليم الرسالة للشيخ حميد بن محمد القاسمي طلبت وكان سائق السيارة يدعى التي كانت مكشوفة، وكان الوقت في بداية الليل، بالرامس يطلب مني أن أنتقل إلى الجزء الخلفي من السيارة، ليجلس غطس جسمي الضئيل بين الأكياس من حمولة السيارة، انزل، هل ترى أثر سيارتك؟ اتبع ذلك الأثر وستصل إلى بيتكم». فقد تركوني على قارعة لأننا في الأيام الأخيرة من شهر والمسافة إلى بيتنا تقدر بكيلومتر واحد، هو بالأحرى كما يوجد بيت صغير بالقرب وأنا في أسفلها، فتملكني الخوف . في ليلة قبل فخفت أن أكون مثل ذلك الخروف، فقلت : لقد أنزلوني على الطريق العام، حتى لا ألتقي بأصدقائي ويشاهدوا رأسي الحليق. كان أصدقائي مجموعة من أولاد البدو وكان معنا فتي يقال له النخلة وسهما مثبتاً به إبرة صنعناها بأنفسنا لصيد الحمام والعصافير، وكنا نشعل ناراً بقداحة كانت المشروم يضرب حديدتها بحجرها على القش فتشتعل النار بنفخنا فيها، كنا نأكل كل شيء اصطدناه بعد شيه جراد، سحالي، جرابيع وطيور. بحقول القمح التي زرعها والدي على الأمطار في الصالحية» بالقرب وقد أحضر معه العدة والعتاد لاستقبال شقيقه عمي الشيخ سلطان بن صقر القاسمي والذي سيحضر في اليوم التالي للتوسط بين الشيخ صقر بن محمد القاسمي، والشيخ سلطان بن سالم حيث زوجته الأخرى. عند غروب شمس ذلك اليوم وصل الشيخ سلطان بن صقر من بيتنا، في اليوم الذي يليه، السيارات الأخرى، وتوجهوا إلى رأس الخيمة لمقابلة الشيخ صقر بن الشيخ سلطان بن صقر القاسمي رجع إلى الشارقة متخذاً الطريق الساحلي. فسألت والدي عن النتيجة. وتمكن الشيخ صقر بن محمد القاسمي من حكم رأس الخيمة، وطالب الإنجليز بالاعتراف به حاكماً لرأس الخيمة في الأسبوع الأول من مارس من عام ١٨٤٩م، الشيخ حميد بن محمد القاسمي، القاسمي، وعندما كنا هناك، هبت عاصفة شديدة، مما اضطر والدي إلى أن يبيت تلك الليلة في بيت الشيخ حميد بن محمد القاسمي برأس الخيمة. بالبيت، وفي الصباح الباكر عندما فتح باب تلك الغرفة شاهدت الساحة الداخلية لذلك البيت وقد خارج البيت لأرى ما حل بالمدينة. ومعظمها من السعف، وإذا بالشاطى أصبح قريباً من بيت حميد والبحر، وقد جرفتها الأمواج ، وإذا بالأبار المطوية، قد جرف البحر ما حولها من رمال، وتركها كأعمدة على ذلك الشاطى بعد أن تناهى البحر في الجزر أخذت أنا وعيد نهرو على الشاطى إلى جهة الشمال، بالشاطى يأخذنا ناحية الشرق، كان والدي مشغول البال على الأهل في منطقة الخران، وإذا بشقيقي خالد والخدم يتقدمون قالها والدي وهو ينزل من السيارة. فإذا بغدان منصوب هنا وآخر هناك . بمياه الأمطار. كنا نائمين في الخيمة الكبيرة، فعصفت العاصفة، أخذت أنا وشقيقي شيخة نجري نحو القلعة في حتى إذا ما أبرقت السماء وجدنا شقيقنا فأخبرت خالي سالم بن خميس بذلك، التي افترشت الأرض. بالأرض، وإذا بوالدي تسأل عن فقلت لها : التي كانت مبلولة وثقيلة، والدي: خير إن شاء الله». وإذا بالماء المملوء بالطين ينزل علينا من فتحة سلام القلعة، بعد أن احتبس فوق سطحها، ليغرقنا في بحيرة من الطين. اجمعوا ملايسكم وأركبوا في واركبوا كل شيء، وفراق تلك المنطقة الجميلة يملأنا إن اعترف الإنجليز بالشيخ صقر بن مح

محمد القاسمي حاكماً الرأس الخيمة حتى صب الشيخ سلطان بن سالم القاسمي جام غضبه على الإنجليز و ازداد نشاطه واتصالاته، مما جعله يتلقى تحذيراً من الضابط السياسي البريطاني في الشارقة، فسوف يطلب لكن الإنجليز توصلوا إلى قناعة بأن الشيخ سلطان بن سالم شخص يصعب التعامل معه، وليس بمستبعد أن يقدم على خلق فاستدعي للمرة الثانية في يوم ٢٣ وهي مقر الضابط السياسي البريطاني، الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، على ظهر المنور؛ «أي : السفينة الحربية البريطانية. في المقابلة التي تمت مع السيد بيلى» ، كان الشيخ سلطان بن سالم قد قدم عدة أعذار ومبررات عديمة الجدوى، طلب السيد بيلى من الشيخ سلطان بن سالم أن يرافقه إلى فلم يعترض الشيخ سلطان بن سالم على ذلك الطلب طلب بيلى من الشيخ سلطان بن سالم أن يدخل في البريطاني عساكره الواقفين على بوابة الوكالة السياسية البريطانية أن لكنه أخرج مسدسه بسرعة بالسيارة. أطلقوا النار عليه . لكنها كانت في الهواء! حيث يقومون بها . وبيتنا، وهي كيلومتر واحد، جريا من سكة إلى أخرى حتى وصل إلى بيتنا، الذي أخذه إلى غرفة في الطابق العلوي، مدخلها من ناحية سكن العائلة، أخرى عن السكن الداخلي. كان الوقت ظهراً، وما هي إلا سويغات، نظر والذي من شباك الغرفة العلوية المطل على الساحة الأمامية، البيت تسمى بوابة المطبخ، ليست معروفة لدى العامة من الناس، على ساحة صغيرة، تحيط بها بيوت جيراننا مريم بنت سعد الله، وسالم ذراع، تلك البيوت. أخذ والذي الشيخ سلطان بن سالم إلى بوابة المطبخ، الجنود البريطانيون قد وصلوا إليها، لا أعرف ما المتمركزين في الساحة أمام البوابة الغربية، عن أكياس مليئة ومتراكمة بعضها فوق بعض، العسكرية، وبنادق مصوبة ناحية البوابة الغربية لبيتنا. بالسيارة العسكرية تتقدم وتحجب عني منظر الجنود خلف الأكياس. فلم تخلف إلا أكواماً صغيرة من الرمال التي أفرغت إبعاد والذي عن الشارقة وطلب من والذي أن فسألت والذي عن المسير، فقال والذي: إن الإنجليز مصريين على أخذي بدلاً من الشيخ سلطان بن فهو قبل مدة سنة والذي الشيخ محمد بن صقر القاسمي حق المعرفة؛ معارضا لإقامة محطة الطيران بالشارقة في سنة ١٣٩١ م، وكان يقوم بإزالة أي علامات توضع على الأرض لإقامة تلك المحطة. إبعاده عن الشارقة، بإعطاء خطاب ضمان يحمي استقلال الشارقة وعدم التدخل في قام الإنجليز وطلبوا من الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، الشارقة، أن يوافقهم على إبعاد أخيه الشيخ محمد بن صقر القاسمي إلى البحرين، الخاصة بالسفر. وسافر إلى البحرين، يرافقه ابنه الأكبر خالد وصديقه عمران بن تريم. بقي والذي في البحرين عدة أسابيع، ضيفاً مدرسة الإصلاح القاسمية وكان عمري آنذاك تسع سنوات وشهرين؛ كنت لمدة سنتين أقضي الشتاء في منطقة الخران برأس الخيمة. كانت المدرسة مبنية بسعف النخيل على شكل خيام مغطاة بالخيش أما الأرضية فكانت مفروشة بالحصر الجديدة، مطوية؛ فكانت